فكرة "القابلية للاستعمار" بين الواقع والتحدي عند مالك بن نبي

أ / مغدوري حسان

جامعة زيان عاشور ــ الجلفة

مقدمة:

سأتكلم في هذا المقال عن الحاجة إلى فكر مالك بن نبي باعتباره يمثل فكرا حيا مازال قادرا على مواجهة تحديات العصر فمالك بن نبي واحدا من رجالات النهضة في القرن العشرين الذين وظفوا جهودهم في خدمة قضايا أمتهم، و تمكنوا من تقديم مقاربة تقوم على مساهمة الاقتراحات في بلورة الحلول الكفيلة بإخراج الأمة المسلمة من تخلفها الذي اعتبره بن نبي شاملا لكافة مناحي الحياة ، وكان يحاول مواكبة العصر بمنهج فعال ولذلك ، قدم مشروعا فكريا متكاملا في وقت كانت فيه الأمة الإسلامية تنكسر في ظل أنظمة استعمارية قامت على أسلوب الإبادة والإقصاء وأسست لفكر عنصري يقوم على أفضلية وأحقية الغرب في تسيد الحضارة، ورهنت بذلك كل مبادرة للشعوب المهزومة وشوشت على نشاطها الثقافي والفكري بوضعها للغرب كنموذج أوحد للحضارة والتقليد.

لقد قام بن نبي في مواجهة هذه الدعوة مشخصا أثرها على واقع المسلمين بمصطلح "القابلية للاستعمار" [1]،في إشارة للهزيمة النفسية التي ألمت بالأجيال ما بعد الموحدين و التي تقبلت في النهاية مفهوم تفوق الغرب . وفي إطار مشروعه الفكري العام وتحديد نوعية وطبيعة المشكلات التي يواجهها المجتمع الإسلامي، وقف مالك بن نبي عند عدد من القضايا التي تعرضت لكثير من التشويه خصوصا مع اتساع دائرة التأثر بالنموذج الحضاري الغربي

فالوثبة الحضارية التي شغلت تفكير العالم الإسلامي وبددت جهوده منذ عصر الموحدين إنما مردها إلى فكرة القابلية للاستعمار التي طالما مثلت حرجا عند كثير من المفكرين المعاصرين فهل تمثل هذه الفكرة والحال هذه حتمية تاريخية تجعل كل محاولة للنهوض من التخلف فعلا عبثيا أم أن القابلية للاستعمار حالة مرضية يمكن تشخيصها أولا ثم البحث عن الحلول الكفيلة بمعالجتها ثانيا

إن هذا الإطار الجدلي للمسالة مازال يشكل تحديا ويعطي لفكرة القابلية للاستعمار نفسا للاستمرار في الزمن الراهن ويعكس إلى حد كبير أصالة وحيوية هذه الفكرة ولذلك ستكون مداخلتي في أطار إبراز الأسباب العميقة لتبلور فكرة القابلية للاستعمار لدى مالك بن نبي

وإظهار أهم الدلالات التاريخية لوجودها وكيف يمكن فهمها في الظروف الراهنة على ضوء التغيرات والتحولات التي يعرفها العالم المعاصر وهل مازلنا بحاجة إلى حسمها لنكون طرفا في الحضارة المعاصرة

إن الإجابة عن هذه الأسئلة يمكن آن يمنحنا فرصة انقد ذاتنا واستيعاب تجربتنا والاستعانة بأفكار قومنا في مواجهة مشكلات الحضارة الراهنة.

1)- لغة الخطاب عند مالك بن نبي

يمكن إيجاز مميزات فكر مالك بن نبي في عناصر المعرفة الداخلية للواقع الإسلامي ،والمعرفة الأساسية بالعلوم الاجتماعية، والإلمام بقضايا ومشكلات العصر الحديث، حيث كان ناقدا للواقع ،وكان يؤمن بالإصلاح، ودعا إلى ضرورة الاستفادة من العلوم الاجتماعية وتطويرها، وكان من اكبر علماء العرب حرصا على تحديد المصطلحات حتى ولو اسيئ فهمه في فكرة القابلية للاستعمار، التي أثارت جدلا كبيرا في وسط الثقافة والسياسة [2].

لقد أدرك مالك بن نبي أهمية اللغة في عالم الأفكار الذي غالبا ما يأخذ حالة زئبقية رجراجة تحتاج إلى كلمات واضحة وتعابير دقيقة ومعاني محددة ولذلك كان حريصا على تسمية الأشياء بمسمياتها مستفيدا من مرجعياته الفكرية في علوم الدين واللغة وفي الفلسفة والتاريخ والأدب وعلم الاجتماع ومتسلحا بإتقان بلغة مزدوجة ساعدته الى حد كبير في بناء تصورات خالية من التأثيرات الجانبية التي قد تحملها ترجمات النصوص .

لقد مكنت معرفة مالك بن نبي الواسعة بعلوم وثقافة عصره من الاهتمام بالواقع الداخلي للمسلمين، فقام يعالج القضايا الكبرى التي كان يعاني منها العالم الإسلامي مستندا إلى منهج علمي، تبدو ملامحه بارزة في استعماله للغة حداثية، تقوم على الأدوات التعبيرية للعلوم الدقيقة، وتوظيف المصطلحات التي جددت لغة الخطاب في فهم ووصف الواقع، وكان حريصا على الإحاطة بمعاني الأفكار التي يناقشها من خلال إنتاجه للمصطلح الذي يضبط المعنى، ويحقق الفهم ،ولذلك شاعت عنده مصطلحات مثل إنسان ما بعد الموحدين ،وكلمات مثل، الأفكار الميتة، والأفكار المميتة، ومصطلح الظاهرة القرآنية ومفاهيم التراب والإنسان والزمن ،كعناصر في مكونات الحضارة، ومرحلة ما قبل الحضارة، وما بعد الحضارة وغيرها [3].

لقد كان مالك بن نبي يستعير أحيانا من صور الواقع الاجتماعي الجزائري بعض الكلمات ذات الدلالات الشعبية، كمصطلح الزردة في إشارة لوصف ظاهرة اجتماعية سياسية، وقد تمكن بفضل هذا الأسلوب من مناقشة أمهات القضايا ذات الصلة بواقع المسلمين، ومن تشخيص كثير

من الأزمات الفكرية والثقافية التي استعصى فهمها في الخطاب اللغوي التقليدي الذي كان يقوم على كلام العاطفة والوجدان.

يجب أن ندرك من حيث المبدأ ،بان مالك بن نبي لم يكن فقط حريصا على مناقشة ومعالجة القضايا والمشكلات، بل انه أدرك بان مثل هذا المجال لا يمكن فهمه إلا بلغة اصطلاحية،ذلك أن فكرة القابلية للاستعمار ليست سوى مصطلحا يندرج ضمن السياق العام للغة الخطاب التي ميزت أسلوب هذا الرجل، كمفكر له قاموسه اللغوي الخاص بمشكلات وقضايا العالم الإسلامي.

ولذلك فمن الضروري البحث في جذور هذا المعنى من زاوية علمية تقوم على استحضار الدلائل التي أسست لهذا المعنى، وفق نظرة صاحبها ولا يجب أن تبقى قراءتنا لمعنى المصطلح في المستوى الأول من الخطاب التقليدي ،حتى لا نتحرج مما قد يذهب إليه المعنى السطحي .

لأجل أن يتهيأ لنا فهم المعنى التاريخي والفكري لهذا المصطلح، رأينا عرض الأسباب العميقة لتبلور فكرة القابلية للاستعمار لدى مالك بن نبي، وإظهار أهم الدلالات التاريخية لوجودها، وكيف يمكن فهمها في الظروف الراهنة على ضوء التغيرات والتحولات التي يعرفها العالم المعاصر، وهل مازلنا بحاجة إلى حسمها لنكون طرفا في الحضارة المعاصرة.

2)- الأسباب العميقة لتبلور فكرة القابلية للاستعمار:

أ - طبيعة منظومة الأفكار:

تبدو نظرة مالك بن نبي أكثر شمولية في معالجته لمشكلات العالم الإسلامي، التي يربطها برصيد من التاريخ الذي خلفه عصر ما بعد الموحدين، والذي راكم (الأفكار الميتة) التي التي تمثل نتاج الإرث الاجتماعي المتوارث ،والتي تولد القابلية للاستعمار، وقد تحولت مع الوقت إلى منظومة متجانسة من الأفكار، مصابة بجرثوم ة تتوارثها الأجيال، وتساهم في توريط ثقافة المجتمعات الإسلامية في نفس البوتقة من حيث درجة الوعي وأضحت تمثل حسبه احد ابرز مظاهر المأساة الاستعمارية التي تتجلى فيها القابلية للاستعمار كتعبير ثقافي يميز حال المسلمين[4]).

لقد حسم مالك بن نبي مصدر هذه الأفكار، الذي يربطه بدلالاته المرجعية، في القيروان والزيتونة والأزهر، ويحدد بذلك موقع المرض الذي ينبع من ذات المريض، ويوجه بذلك معول القضاء على جرثومة الأفكار الميتة الذي لغم عمق البنية الإسلامية [5].

ومن هنا فان كافة الأجيال المتعاقبة لفترة ما بعد الموحدين، تورطت في حمل عبئ الأفكار الميتة وتضاعفت حمولتها من هذه الأفكار بتقدم الزمن، وهي كما يراها بن نبي اشد فتكا، لأنها كامنة في ثقافة المريض، يرثها ويورثها وهو لم يتخلص منها بعد.

يربط مالك بن نبي بين خطورة الأفكار الميتة في اتجاهين متكاملين من حيث تكريس القابلية للاستعمار، فهو من جهة، يوضح خطر هذا الإرث الاجتماعي المتوارث والذي فقد صلته بالثقافة الأصيلة للعالم الإسلامي، ودوره من جهة أخرى في امتصاص الأفكار المميتة الوافدة إليه من الخارج والتي انفصلت عن جذور عالمها الثقافي [6].

فالفكرة الميتة التي تطبع سلوك الأشخاص، تنادي بدورها الفكرة المميتة وتفرز ظاهرة سلوكية مترابطة بين نوعين من الأفكار تكرس استمرار مرض منظومة الأفكار التي تحكم ثقافة المجتمع السلوكية.

لقد حاول مالك بن نبي تفادي خطا تشخيص هذه للمسالة – مسالة الأفكار المميتة – التي يعود أصلها إلى ثقافة الغرب، وما يترتب عن هذا المعنى من بناء تصور يجعل من الغرب السبب المباشر والمسؤول الأول عن استعمارنا، وما قد ينجم عن ذلك من تبديد للجهد في مقاومة المرض في غير موضعه الصحيح، ولذلك نبه مالك بن نبي إلى أن الإشكال ليس في سبب وجود الأفكار المميتة عند الغرب، ولذلك يتساءل عن اهتمام النخبة المسلمة بالبحث عن هذه العناصر، وهو ما يعكس حقيقة وجود الاستعداد القبلي لديها والذي يدفعها لذلك بما توارثه من أفكار ميتة.

إن اللبس الذي ينتاب نظرة المسلمين القائمة على الخصومة المسبقة للغرب والمحكومة بالسياج العقائدي الاقصائي لأطروحات وأفكار الغير قد يؤثر على أدائهم في الاستفادة منه [7]، وهذه الحالة تلغي الأداء الايجابي في التفاعل مع الحضارة الإنسانية وتكرس التراكم للأفكار الميتة، وهذا هو التعبير الصحيح لمفهوم القابلية للاستعمار.

ب – معامل الاستعمار:

إن الفرد بصفته عاملا أوليا للحضارة يتمتع بقيمته الطبيعية وبقيمته الاجتماعية، حيث تمثل القيمة الأولى مكوناته البيولوجية واستعداداته الفطرية في استعمال عبقريته وترابه ووقته، وهذه الصفة تجلت في تجربة الجزائري بين عهدي القديس اغسطين البوني وعهد ابن خلدون [8] وأما القيمة الثانية فهي تتحقق بفعل التفاعل مع الوسط الاجتماعي باكتساب واستعمال الوسائل لترقية شخصية الإنسان وتنمية مواهبه وترشيدها ومن هنا تنشا وظيفة الهيئة الاجتماعية في القيام بدور الترقية والتنمية في رفع مستوى الفرد بالمدرسة والمستشفى والإدارة وغيرها.

وتبدأ قضية الاستعمار ضمن هذه الصورة التي فرضت على الجزائري معامل جديد حسب لغة الرياضيات فالجنرال بيجو كان أول من وضع أسس سياسة فرض المجتمع البديل الذي يكافئ في قيمته مجتمع الأهالي والذي تحقق مع المشروع الاستيطان وميلاد المجتمع الأوروبي في الجزائر هذا المجتمع الذي حط من قيمة الإنسان الجزائري الذي تحول إلى أهلي وأصبح هذا يمثل معاملا جبريا ينال من حقوقه آذ لا يمد الطفل بما يحتاجه ليقوي جسده وينمي فكره ويهيئ له مدرسة وتوجيها ينفعه ويتحول الإنسان في ظل وظيفة المجتمع الجديدة إلى مهزوم يفقد أمام تلبية حاجاته الضرورية عزته وكرامته وتسيطر عليه الأفكار المحطمة لقيمته والمقوضة لحقوقه .

هكذا يعيش الإنسان والحال هذه، ضمن السياج الذي يفرضه الاستعمار كقدر محتوم، ومن هذا المعنى فان الفرد الجزائري، قد فقد قيمته الاجتماعية بفعل الاستعمار، الذي ضيق عل نشاطه في كل تفاصيل الحياة، وجعله يفقد بذلك دوره في التنمية [9]، وفي الحضارة ويتحول إلى كائن مغلوب يقبل اسم الأهلي.

ت – استجابة الفرد النفسية للتصنيف الدوني:

إن قبول الفرد لصفة الأهلي كتصنيف منحه إياه الاستعمار قد ولد فيه معاملا باطنيا ينبع من ذات الفرد الذي فيألف الوضع الجديد كاهلي وتحمل نخبه المثقفة ترديد انتمائها للأهالي وتتبنى بذلك تصنيف إدارة الشؤون الأهلية وهكذا يتحول معطى الاستعمار الى مؤثر خارجي يقتل القيمة الاجتماعية للإنسان ويتلاقح مع استجابة المعامل الباطني الذي اكتسبه المستعمر بقبول الواقع على النحو الذي رسمه الاستعمار وتصبح معها العلة مزدوجة (مؤثر خارجي + استجابة داخلية = القابلية للاستعمار[10] .

ولتوضيح الفرق بين الشعوب، في مدى الاستجابة النفسية للدونية، استدل مالك بن نبي بتجربة اليهود في الحرب العالمية الثانية، عندما أوقفت حكومة فيشي العمل بقانون كريميو وحرمت اليهود من كافة حقوقهم السياسية والمدنية، وألغت مناصبهم وامتيازاتهم، ومع ذلك فإنهم تكتلوا في سرية وحافظوا على استمرار نشاطهم التعليمي والديني والتجاري، بفضل إدراكهم لأهمية الوقت الضائع، ولغياب المعامل الباطني الذي يمثل الاستسلام للاستعمار.

ويبدو التوافق بين مفهوم الاستجابة النفسية للمؤثر الخارجي الذي يولد قبول الفرد للاستكانة والخضوع وبين ما ذهب إليه ابن خلدون في أن الدولة لها أعمار طبيعية كما للأشخاص وهي لا تعدو في الغالب عن ثلاثة أجيال حيث يمثل الجيل الأول مرحلة البداوة وسيادة العصبية التي تحفظ رهبة الدولة ويمثل الجيل الثاني حالة الحضارة وتبعثر المجد وانكسار العصبية بفعل الانتقال من عز الاستطالة إلى ذل الاستكانة بينما يمثل الجيل الثالث نسيان البداوة وفقدان حلاوة

العز والعصبية الناتج عن ملكة القهر التي تغدو حالة نفسية تالف الاستكانة فتزول العصبية وتسقط الدولة.

ولعل هذا التصور هو الذي تحمله فكرة القابلية للاستعمار إذ تسبب استمرار الغلبة نشوء طبيعة تؤدي في النهاية إلى سقوط الدولة بما هم فيه من ملكة القهر [11].

وإذا كان معرض الحديث الخلدوني في سياق قيام الدولة وسقوطها فانه يركز على تصوير الحالة النفسية للمجتمع عندما يكون في الدورة الأخيرة من عمر الدولة بحيث تتولد لديه الاستجابة التلقائية للسقوط والخضوع وهولا يختلف عن العرض الذي قدمه مالك بن نبي في حال الشعوب التي استكانت إلى القهر الاستعماري من خلال قبول معايير التصنيف التي وضعت الشعب الجزائري ضمن إطار قانون الأهالي.

3- مفهوم القابلية للاستعمار في ظل التحولات الراهنة:

أدرك مالك بن نبي خطورة الاستعمار من حيث انه ظاهرة متجددة تبعا للظروف ومتطلبات الحال لذلك تعدى استخدامه لهذا المصطلح بعدي الزمان والمكان وحاول الوقوف عند جوهر الفكرة التي تجعل منه عنصر سيطرة وعدوا مستمرا في الزمن ينبغي أن نحترس منه ونتجند لتفاديه، إذا أردنا أن ننهض بحضارتنا بعد عصر طويل ،كان قد بدا منذ نهاية الموحدين.

ولهذا فالاستعمار من حيث انه كذلك يتجلى اليوم في صورة أكثر شمولية واشد تعقيد، ففي ظل التحولات السريعة والمتسارعة التي يعرفها العالم المعاصر في مختلف مجالات المعرفة والفنون وفي ظل التفاوت الرهيب في مستوى المدنية بين الشعوب والأمم تبرز ظاهرة العولمة [12] كتحد جديد يشكل احد ابرز أشكال الاستعمار.

إن العولمة اليوم ،قد أجهزت على ماتبقى من مظاهر السيادة فقد تهاوت في ظلها الحدود الوطنية لصالح مركز عالمي واحد واقتصادي واحد [13]، وأصبحت في ظلها كافة حياة الشعوب السياسية والاقتصادية خاضعة إلى قوى السوق والى مصالح مراكز النفوذ الاقتصادي للشركات المحلية والدولية وغدا ذلك يقوض باستمرار قوة الدولة الوطنية ويرهن استقلالها بما يجعلنا نعود مرة أخرى إلى استعمار اشد تركيبا وتعقيدا وحدة.

غير انه إذا كانت العولمة من حيث المبدأ، تضع كافة الأمم في بوتقة واحدة، على اختلاف ألوانها ومعتقداتها وادعائها، إلا أنها تقف عند مستويين من التفاعل حيث يتجلى المستوى الأول على صعيد العلاقات بين الدول القوية التي كانت تمثل بالأمس القريب الإمبراطوريات الاستعمارية في القارات الخمس وهي تسعى لتحقيق المصلحة المشتركة ضمن صيغة بنيوية جديدة تأخذ من مستعمرات الأمس مناطق نفوذ حيوية لاستثماراتها السلعية والثقافية و تلتف على

سيادة الدول من خلال دعم تفعيل مؤسسات المجتمع المدني وتسخير مقدراتها لخدمة أهدافها الحضارية.

هكذا فان التحدي الذي تفرضه العولمة يتجاوز إطار الدولة والأمة والوطن وهو يسعى إلى خلق قوى جديدة فاعلة ككيان تمثله الشركات الاحتكارية الكبرى والتي تسعى بالمحصلة إلى تفتيت المجتمع وتشتيته ولذلك فان هذا الوضع يقتضي منا اليوم إعادة فحص مفهوم القابلية للاستعمار على ضوء مشكلة الأفكار التي تعتبر موطن الداء وعليها يقوم تغيير البنية الثقافية التي يجب منحها الوالية ضمن مشروع البناء الحضاري عبر وهذا بتخطيط ثقافة شاملة يحملها المجتمع بمختلف مستوياته ومراكزه[14].

4- حاجاتنا لحسم مفهوم القابلية للاستعمار:

لقد مثلت دائرة الجمود الفكري والمعرفي الذي تجلت مظاهره بوضوح في العلاقات بين العرب والغرب مابين القرن السادس عشر والقرن التاسع عشر في ضعف الاتصال بالعالم الخارجي وانكماش التبادل بينهم وبين الشعوب الأجنبية وأوقع الأمة العربية الإسلامية في حالة من الانحطاط الثقافي[15] شكلت الأساس الذي انطوى عليه فكر مالك بن نبي.

إن الأساس الذي استند إليه ملك بن نبي في إنتاج مصطلح القابلية للاستعمار ينسجم مع المسار التاريخي للعالم الإسلامي وينم عن رؤية فاحصة وطرح جريء في نقد التجربة التاريخية ويضع حدا فاصلا بين المفهوم الذي يعتبر فكرة القابلية للاستعمار حالة مرضية ناجمة عن مسار تاريخي كانت له تداعياته النفسية على ثقافة المسلمين وعلى واقعهم ومن ثم يمكن تجاوزه برؤية إصلاحية تقوم على استنفار الطاقات واستثمار الجهد والوقت في سبيل تجاوز الكساد الفكري وبناء الحضارة ،وبين من يعتبر المفهوم حالة جبرية نشأت ضمن حتمية تاريخية وبالتالي نتجه نحو المعنى النقيض في تبرير العجز في مختلف مجالات الحياة الأساسية.

إن المفهوم بالمعنى الأول هو الذي كان يساور تفكير مالك بن نبي ذلك أن إشارته للاستعمار لم تكن سوى دلالة عن معنى السيطرة التي خضعت لها الشعوب الإسلامية في العصر الحديث وسواء أكان المعنى في الاستكانة لمعامل الاستعمار أو استبطان النقص في الذات والاقتناع بالدونية أو في حمل منظومة أفكار تكرس التخلف فان جميع هذه التصورات لها مبرراتها الموضوعية والتاريخية فللعجز الإنساني حسب مالك بن نبي يفضل " الهدف القريب " le but « rapproché" والنجاح الفوري والانتصار السهل ولذلك كانت الإنسانية بحاجة إلى مرشدين عظماء مثل محمد "ص" وآخرون من اجل استكمال المرحلة الكبرى من حضارتها[16].

إن هذا الذي المعنى يتجلى في ضرورة النظر إلى موضوع كسب معركة الحضارة على انه هدف جاد، ولا يكون ممكنا إلا باستغلال الوقت واستثمار الجهد المضني، وتقبل التضحية كقيمة أخلاقية وسلوكية في حياة المجتمع، والاسترشاد بتوجيه العظماء من أصحاب الأفكار الخلاقة، الذين بإمكانهم تجاوز الأفكار الميتة، وإنتاج أفكار حية ذات المناعة إزاء الأفكار المميتة، والاستفادة من حضارة الغرب التي تتجلى مظاهرها في عمل الفلاح وإبداع الفنان وحيوية التاجر وواقعية المواطن وهاجس المثقف بقضايا الإنسان التي تحفظ كرامته وغيرها.

إن المجتمع كما يرى بن نبي ليس كلمة تقال، بل هو حقيقة ذات خصائص محددة ، بها يكون المجتمع أو لا يكون. وأدعياء الثقافة الذين أطلقهم الاستعمار في السوق الجزائرية والذين احتكروا بفضله وسائل التعبير قد شوهوا الأفكار الأكثر بداهة وبساطة [17].

ومن هنا فقد ينصرف التشويه إلى محاولة النيل من المعنى الصحيح والموضوعي لفكرة القابلية للاستعمار، واعتبارها تجنيا على المنطق والعقل وبالتالي تفقد الفكرة عبقريته ا ويضيع معها الجهد والعلم.

إن مفهوم القابلية للاستعمار يستهدف التخلص من دائرة الأوهام والبحث عن سبل الحضارة الأصيلة بتدارك الأخطاء والسير دوما نحو الأمام وفق ما يقتضيه النظام العلمي والعقلاني وان مسعانا محكوم بتخطيط ثقافة شاملة تتناسب مع كافة أطياف وفئات المجتمع باختلاف مستواه ا الثقافي والتعليمي وباختلاف مركزها الاجتماعي في مسعى لتدارك مستوى من التوازن الجديد[18].

خاتمة:

يأخذ مفهوم الاستعمار فـي تصور مالك بن نبي معنى السيطرة التي تجعل مقدرات الشعوب الضعيفة ضمن دائرة الاستغلال الحضاري للدولة المهيمنة وهي الحالة التي لازمت تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب وإذا كان بن نبي قد انطلق من تجربة الشعب الجزائري مع الاستعمار الفرنسي إلا انه يقف عند المبادئ التي تحكم الظاهرة باعتبارها معادلة مركبة بين عنصر المعمر وعنصر المستعمر وهي تخضع لنمط من التفكير المتناقض بين من يفرض قيمه وبين من يتقبل تبني تلك القيم انطلاقا من قناعة مكتسبة كان قد حددها مالك بن نبي في مصطلح المعامل الباطني كما أسلفنا الذكر وعليه فان فكرة القابلية للاستعمار ينبغي إن تفهم في إطار مراجعة الذات عبر إعادة النظر في طبيعة منظومات الأفكار التي تشكل الإرث الاجتماعي والثقافي المتوارث والبحث في تمييز وإدراك الأفكار الميتة التي فقدت جذورها بالقيم الأصيلة على اعتبار أنها علة تبلور مفهوم القابلية للاستعمار فهي لا تقف عند خلق العجز الأدائي للعلم

الإسلامي وقتل الفعالية كما يسميها مالك بن نبي بل أنها تعمق الإشكال بامتصاصها لقشور الحضارة وتحاشيها الجوهر الذي أنعش التطور الحضاري للغرب والقائم على مبادئ حرية الفكر وتمجيد الإبداع .

الهوامش :

1 – تناول مالك بن نبي هذا المصطلح في معالجة معامل القابلية للاستعمار في كتابه شروط النهضة والذي اخذ صدى واسعا في الوسط الفكري لما يثير من استفزاز للعقل وحرج للمشاعر . انظر : مالك بن نبي ،شروط النهضة دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر ،دمشق 1979 ص152.

2 – مولود عويمر،مالك بن نبي رجل الحضارة مسيرته وعطاؤه الفكري–دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع. الجزائر2007، ص151

3 – عن مفاهيم هذه المصطلحات يمكن العودة إلى مؤلفات مالك بن نبي في كتاب مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي

4 – مالك بن نبي ،مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ،تر،بسام بركة واحمد شعبو ندار الفكر الجزائر ،دار الفكر دمشق سوريا ،ط 1 ،1992 ،ص 148 .

5 – نفسه،ص148.

6 – نفسه،ص149.

7 – عويمر ، مرجع سابق ، ص153.

8 – بن نبي ،شروط النهضة ،مرجع سابق ص145.

9 – نفسه،ص ص 146،147.

10 –نفسه ،ص ص 152،153.

11 –ابن خلدون ، المقدمة،دار القلم ،بيروت ، لبنان،ط7،1979 ،ص ص، 170،171.

12 –تعدد تعريف العولمة تبعا لاختصاصات المعرفين فكل نظر إليها من زاوية خاصة بمجال اهتمامه وهي تعني لغة تعميم الشيئ وتوسيع دائرته ليشمل العالم كله ، وهي مأخوذة من كلمة عولمة بمعنى جعل الشيئ عالميا . ويقابلها في الفرنسية Mondialisation . وفي الانجليزية . Globalisation.للمزيد في الموضوع انظر:عبد الرحمن بن شريط ، الدولة الوطنية بين متطلبات السيادة وتحديات العولمة ،مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع ،2011 ،ص ص،89–92

13 –هانس بيتر مارتن ،هاراك شومان :فخ العولمة ،تر،عدنان عباس علي ، مراجعة وتقديم رمزي زكي ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت ، العدد 138 ص59.

14 –بن نبي ،مرجع سابق ،ص159 .

15 –حمد عزت عبد الكريم ،دراسات في تاريخ العرب الحديث –دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت––1970. ص12.

16- Le Jeune Musulman ,1 Année N-10,Novembre,17-18,Novembre,1952 ,P2

17 –مالك بن نبي ،مذكرات شاهد للقرن ،دار الفكر ،دمشق سوريا ،ط ،الثانية –1984 ،ص 168.

18 – بن نبي نشروط النهضة ،مرجع سابق ،ص159